@ 853 @ كانت لهم عقول ، لآثروا الفاضل على المفضول ، ولما رضوا لأنفسهم بأبخس الخطتين ، ولكانت كلمتهم مجتمعة ، وقلوبهم مؤتلفة ، فبذلك يتناصرون ، ويتعاضدون ، ويتعاونون على مصالحهم الدينية والدنيوية ، مثل هؤلاء المخذولين من أهل الكتاب ، الذين انتصر ا لرسوله منهم ، وأذاقهم الخزي في الحياة الدنيا . وعدم نصر من وعدهم بالمعاونة ^ (كمثل الذي من قبلهم قريبا) ^ وهم كفار قريش الذين زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال : ^ (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم * فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون) ^ . فغرتهم أنفسهم ، وغرهم من غرهم ، الذين لم ينفعوهم ، ولم يدفعوا عنهم العذاب ، حتى أتوا (بدرا) بفخرهم وخيلائهم ، ظانين أنهم مدركون برسول ا والمؤمنين أمانيهم . فنصر ا رسوله والمؤمنين عليهم ، فقتلوا كبارهم وصناديدهم ، وأسروا من أسروا منهم ، وفر من فر . وبذلك ! 2 2 ! وعاقبة شركهم وبغيهم . هذا في الدنيا ! 2 2 ! في الآخرة ! 2 2 ! . ومثل هؤلاء المنافقين الذين غروا إخوانهم من أهل الكتاب ! 2 2 ! ، أي : زين له الكفر وحسنه ودعاه إليه . فلما اغتر به وكفر ، وحصل له الشقاء ، لم ينفعه الشيطان ، الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه ، بل تبرأ منه ^ (وقال إني بريء منك إني أخاف ا رب العالمين) ^ ، أي : ليس لي قدرة على دفع العذاب عنك ، ولست بمغن عنك مثقال ذرة من الخير . ! 2 2 ! ، أي : الداعي الذي هو الشيطان ، والمدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه ! 2 2 ! كما قال تعالى : ! 22 ! . ! 2 ! 2 الذين اشتركوا في الظلم والكفر ، وإن اختلفوا في شدة العذاب وقوته . وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه ، فإنه يدعوهم ويدليهم بغرور ، إلى ما يضرهم ، حتى إذا وقعوا في الشباك ، وحاق بهم أسباب الهلاك ، تبرأ منهم ، وتخلى عنهم . واللوم كل اللوم على من أطاعه ، فإن ا قدر منه ، وأنذر ، وأخبر بمقاصده وغايته ، ونهايته ، فالمقدم على طاعته عاص على بصيرة ، لا عذر له . ^ (يأيها الذين آمنوا اتقوا ا ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا ا إن ا خبير بما تعملون * ولا تكونوا كالذين نسوا ا فأنساهم أنفسهم أول ئك هم الفاسقون * لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفآئزون * لو أنزلنا ه ذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية ا وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ^ يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يوجبه الإيمان ، ويقتضيه من لزوم تقواه ، سرا وعلانية ، في جميع الأحوال ، وأن يراعوا ما أمرهم ا به ، من أوامره وحدوده ، وينظروا ما لهم وما عليهم ، وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم في يوم

القيامة . فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم ، وقبلة قلوبهم ، واهتموا للمقام بها ، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها ، وتصفيتها من القواطع والعوائق ، التي توقفهم عن السير ، أو تعوقهم أو تصرفهم . وإذا علموا أيضا أن ا خبير بما يعملون ، لا تخفى عليه أعمالهم ، ولا تضيع لديه ، ولا يهملها ، أوجب لهم الجد والاجتهاد . وهذه الآية الكريمة ، أصل في محاسبة العبد نفسه ، وأنه ينبغي له أن يتفقدها ، فإن رأى زللا ، تداركه بالإقلاع عنه ، والتوبة النصوح ، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه ، وإن رأى نفسه مقصرا ، في أمر من أوامر ا ، بذل جهده ، واستعان بربه في تتميمه ، وتكميله ، وإتقانه . ويقايس بين منن ا عليه وإحسانه ، وبين تقصيره ، فإن ذلك يوجب له الحياء لا محالة . والحرمان كل الحرمان ، أن يغفل العبد عن هذا الأمر ، ويشابه قوما نسوا ا ، وغفلوا عن ذكره ، والقيام بحقه ، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها ، فلم ينجحوا ، ولم يحصلوا على طائل . بل أنساهم ا مصالح أنفسهم ، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها ، فصار أمرهم فرطا ، فرجعوا بخسارة الدارين ، وغبنوا غبنا ، لا يمكن تداركه ، ولا يجبر كسره ، لأنهم هم الفاسقون ، الذين خرجوا عن طاعة ربهم ، وأوضعوا في معاصيه . فهل يستوي من حافظ على تقوى ا ، ونظر لما قدم لغده ، فاستحق جنات النعيم ، والعيش السليم مع الذين أنعم ا عليهم ، من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ومن غفل عن ذكره ، ونسي حقوقه فشقي في الدنيا ، واستحق العذاب في الآخرة . فالأولون هم الفائزون ، والآخرون هم الخاسرون . ولما بين تعالى لعباده ما بين ، وأمر عباده ونهاهم في كتابه العزيز ، كان هذا موجبا لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه ، وحثهم عليه ، ولوا كانوا في القسوة وصلابة القلوب كالجبال الرواسي . فإن هذا القرآن لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية ا ، أي : لكمال تأثيره في القلوب ، فإن مواعظ القرآن ، أعظم المواعظ على الإطلاق . وأوامره ونواهيه ، محتوية على الحكم والمصالح المقرونة بها ، وهي من أسهل شيء على